موقف برتراند رسل من النظريات التربوية

قريبي مشري[1]، إشراف أ. د. بوشيبة محمد[2]

[1] طالب دكتوراه، جامعة وهران2

[2] كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران2

****

تاريخ الإرسال: 2018/03/31 تاريخ القبول: 2018/06/06 تاريخ النشر: 2018/06/30

الملخص:

تمثل التربية إحدى أهم المسائل المرتبطة بالوجود الفردي والاجتماعي، وهي تعتبر العامل الأساسي في تكوين الأفراد وبناء الحضارة. وقد اكتسى هذا الموضوع اهتماما خاصا لدى الفيلسوف برتراند راسل الذي حاول أن يبرز وجود ثلاث نظريات تربوية في تاريخ الفكر البشري. الأولى هي نظرية التربية السلبية التي تعمل على خلق الفرص المتاحة واستبعاد أي تراجع [يمكن أن يعيق العملية التربوية]، بينما تركز الثانية على الجانب المعرفي للطفل. أما هدف الثالثة فيتمثل في تكوين المواطنين الصالحين. إن كلا من النسق التربوي التقليدي والحديث قد يؤدي لا محالة إما إلى مواطن مطيع أو فرد متمرد، وهذا بالتأكيد سينتج إما الفوضى أو الاستبداد. ولهذا مهد الطريق للتأسيس لتربية تستند على مبدأ الحرية وذلك تبعا لجملة من الارشادات.

الكلمات المفتاحية: التربية؛ برتراند راسل؛ نظرية؛ نظام تربوي؛ الحرية، الفرد.

Abstract:

Education is one of the serious issues that are related to the existence of the individual and community, and it is considered as a principle key factor to form people and to build civilization. The philosopher who was interested in this field is Bertrand Russell. He demonstrates that are three educational theories throughout the history of mankind. The first theory is the negative education which works to create opportunities and eliminate backwardness. The second focuses on the cognitive side of the child, and the aim of the third theory is the formation of good citizens. Both the traditional educational system and the modern one may inevitably lead to either an obedient citizen, or rebellious individual, and will certainly produce either chaos or tyranny. Therefore, it paves the way for the foundation of an education based on freedom and according to certain guidelines.

Keywords: Education, Bertrand Russell, theory, educational system, freedom, individual.

مقدمة:

تعدُّ التربية من المسائل الخطيرة والضرورية التي تتعلق بوجود الفرد والجماعة معا، كما تمثل عاملا أساسيا من عوامل بناء الحضارات ونهضتها، وهي الدعامة الأساسية والوسيلة المثلى التي تعتمد في توجيه الناشئين، ولذلك كانت ولا تزال من القضايا التي تؤرق الفلاسفة والمربين، والأنظمة المتعددة، السياسية منهاو الأخلاقية وحتى الدينية، من خلال مقاصدها وتوجهاتها، سواء تلك التي تهدف إلى تجسيد المواطن الصالح الخاضع لنظام السلطة السياسية، والخادم لمصالحها، بغية تحقيق التجانس بين الناشئ وبقية أفراد مجتمعه، أو تلك التي تسعى إلى تحرير الناشئ من كل قيد، وعلى هذا الأساس اختلفت النظريات التربوية حول الأسس والغايات التي يجب أن نستند عليها في تربية الأجيال المستقبلية، وبطبيعة الحال لم تخرج هذه النظريات عن التصورات والأنساق الفلسفية العامة. ومن بين الفلاسفة الذين اهتموا بهذا المجال الفيلسوف الانجليزي "برتراند رسل" (Bertrand Russell) هذا الفيلسوف الذي يعتبره الكثير من دارسي الفلسفة المعاصرة أعظم فلاسفة القرن العشرين ولا عجب أن يسمى سقراط عصره، ليس فقط لإنتاجه الفلسفي في شتى المواضيع بل من خلال ممارسته ومعايشته لقضايا عصره، فقد اهتم بالتربية نظريا من خلال كتاباته، أهمها كتاب "في التربية"، وكتاب "التربية والنظام الاجتماعي" وتطبيقا من خلال إنشاء مدرسة" بيكون هيل" سنة 1927 بمساعدة زوجته "دورا رسل"(Dora. b. r)، وقد استطاع رسل أن ينتج فلسفة وأفكارا متميزة بالرجوع إلى التاريخ مستخدما المنهج الاسترادادي والوصفي من أجل إيضاح الافكار السابقة، ثم يسلط النقد عليها بالاعتماد على منهجه التحليلي النقدي، وهذا ما استطاع أن يمارسه من خلال تناوله لمشكلة التربية، وعليه يمكننا أن نتساءل حول ماهية العملية التربوية، وما موقف رسل من تلك النظريات التربوية التي تتقاذف الطفل وتتصارع عليه، سواء بتوجيهه أو اطلاق حريته، ثم ما هو تصوره للتربية؟ وإلى اي مدى وفق في ذلك؟

أولا:مفهوم التربية

1. المفهوم اللغوي:

يتعدد مفهوم التربية بتعدد استخداماتها وأهدافها، فقد عرفت التربية في اليونان القديمة ب"Paideia" التي تعني تربية الطفل، وقد جاء في معجم المصطلحات الفلسفية،

إن كلمة تربية مشتقة من الكلمة اليونانية "kalos kai agatos" ولها عدة معاني، فيفهم منها الصحيح والحسن، وتعني المستقيم والحسن، كما يقصد بها الجميل والحسن[1]، ومنه فالتربية تهتم بجملة من الفضائل، فهي تقود إلى الحقيقة ومعرفة الحكمة، ومعرفة الخير والشر، كما تهتم بالجانب الجمالي، وفضيلة الاستقامة والاعتدال، وعلى هذا أُسس المنهج السقراطي الذي يبحث عن فضائل الخير والحكمة والمعرفة، والبحث عن الحقيقة. وقد اهتمت المعاجم بالتربية فتعددت مفاهيمها بتعدد استخدامها فهي تعني:

- النماءو الجمع والزيادة: «فالسحاب يرُبُ المطر أي يجمعه وينميه»[2]، فالتربية تعنى بجميع جوانب الناشئ من تنمية قدراته الجسمية، العقلية، الخلقية، المهنية والاجتماعية، والاعتناء بها والمحافظة عليها إلى أن تبلغ غايتها، وقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى اَلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا اَلْمَاءَ اَهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[3].
- الإصلاح: أي إصلاح الاعوجاج وتصحيح أخطاء الناشئ حتى يصبح مستقيما. «فربى الشيء إذا أصلحه».[4]
- السياسة والسلطة: «فربيت القوم أي سستهم وكنت فوقهم، فقال أبو سفيان غلبت والله هوازن، فأجابه صفوان وقال:لأن يربني رجل من قريش أحب إلى من أن يربني رجل من هوازن»[5]. فهي تعني القدرة على التحكم في الأخر بواسطة قوة مسيطرة وغالبة، كسيطرة الأب على الابن، والمعلم على المتعلم، والقائد على الجند، والحاكم على المحكوم، وما على المتعلم في هذه الحالة إلا الإتباع والخنوع سواء بالإكراه أو بالتأثير، فالمغلوب مولع بتقليد الغالب كما ورد عن ابن خلدون: « ترى المغلوب يتشبه أبدا بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها وسائر أحواله، وأنظر ذلك في الأبناء مع آبائهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائما وما ذلك إلا اعتقادهم الكمال

[1]-Lannone A. paplo,dictionary of world philosophy,routledge taylor and francis group,1st p,2001,p405.

[2] ابن منظور ابن الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر بيروت(لبنان)، المجلد1، د(ط س)، ص 402.

[3] سورة الحج، الآية 5.

[4] ابن منظور، لسان العرب، المجلد1، (م س)، ص 401.

[5] المرجع نفسه، ص 400.

فيهم، وانظر إلى كل قطر من الأقطار كيف يغلب على أهله زي الحامية وجند السلطان في الأكثر لأنهم الغالبون لهم»[1].

- التهذيب: وهي التنقية «وهذب الشيء أي نقاه، ورجل مهذب أي مطهر الأخلاق»[2]. فالتربية تهذب الخلق وتعتني بالحس الجمالي للمتعلم من خلال تهذيب جانبه المعرفي والسلوكي، وتلقينه جملة من المعارف، وإرشاده إلى سلوكات حضارية في تعامله مع الناس في كلامه وهندامه، في مشيته واستراحته، في ابتسامته وحزنه.
- التنشئة (sociolization): وهي «عملية تلقين الفرد قيم ومقاييس ومفاهيم مجتمعه الذي يعيش فيه بحيث يصبح متدربا على أشغال مجموعة أدوار تحدد نمط سلوكه اليومي»[3]، وتطلق التنشئة على التربية كما تطلق على الإنتاج الزراعي، فنقول تنشئة الحيوانات والنبات أو تربيتهما. وجاء في لسان العرب «أحسن القيام عليه، ووليه حتى يفارق الطفولية، كان ابنه أو لم يكن. »[4].

2- المفهوم الاصطلاحي:

إن ما هو مصطلح عليه بصفة عامة أن التربية هي فعل يركز على تنمية القدرات لدى المتعلم (الإنسان)، حيث يذهب "إبراهيم مدكور" إلى: «أنها علم يبحث في أصول هذه التنمية ومناهجها وعواملها الأساسية وأهدافها الكبرى»[5]. فهي علم قائم بذاته يبحث في ما مدى تنمية القدرات لدى المتعلم، كما تبحث في المناهج التي تنمي هذه القدرات، والوسائل التي تساعد على ذلك، والأهداف المبتغاة من وراء هذه التنمية، فعلى سبيل المثال أسس المنهج السقراطي على الصيغة التالية: «أي خير أو فضيلة أو حكمة تقود إلى معرفة الحقيقة. وعلى هذا المنهج أسس أفلاطون جمهوريته»[6].

كما يعتبرها "لالاند" بأنها وسيلة تدريب وتطوير للوظائف المتعددة للمتعلم، لكن هذا التدريب والتطوير لا يحدث دفعة واحدة، وإنما عن طريق التدرج فهي عنده: «مسار

---

[1] ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، مؤسسة قصر البخاري للنشر والتوزيع الجزائر، د(ط، س)، ص144.

[2] الحازمي خالد بن حامد، أصول التربية الإسلامية، عالم الكتب السعودية، ط1، 2000، ص24.

[3] دينكن ميتشيل، معجم علم الاجتماع، دار الطليعة بيروت، ط1، 1981، ص225.

[4] ابن منظور، لسان العرب، المجلد1، (م س)، ص 401.

[5] مدكور إبراهيم، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة(مصر)، دط، 1983، ص. 42

[6] - LannoneA. paplo ,dictionary of world philosophy,routledge taylor and francis group ,1st p ,2001, p405.

يقوم على تطور وظيفة أو عدة وظائف تطورا تدريجيا بالدربة وعلى تجويدها وإتقانها»[1].
إن العمل التربوي ليس فعلا آنيا يتم دفعة واحدة، وإنما هو مجهودا طويلا يقوم به المربي اتجاه الناشئ مع مراعاة عملية التدرج والجودة والإتقان، وكأن عملية التربية شبيهة بالعمل الزراعي، فكما يعتني الفلاح بزرع الأرض ورعاية النبات للحصول على منتوج جيد فكذلك المربي يتم عمله من خلال الرعاية والاهتمام، وقد جاء في موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية للفكر العربي أن: «معنى التربية يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه»[2]،و يرتبط مفهوم التربية بمفهوم الثقافة من جهة والتنشئة من جهة ثانية، فهذا المصطلح الأخير عادة ما يستخدم في مجال الزراعة، خاصة تنشئة الحيوانات والنباتات.

ويعتبر سقراط التربية متصلة بالفلسفة، فهما يبحثان في الإنسان من جهة أخلاقه وتقاليده وأحواله الاجتماعية:« فغاية الفلسفة في نظره هي صياغة النفس الإنسانية وطبعها على الحق والخير والجمال، وتحقيق مجتمع أفضل، والوسيلة التي تعتمد عليها الفلسفة، في تحقيق غايتها هي التربية»[3]، ويذهب أفلاطون إلى اعتبارها تدريبا أخلاقيا، من أجل تحقيق الدولة وتنمية المواطنة، ولذلك يعتبر التربية:«هي المجهود الاختياري الذي يبذله الجيل القديم، لنقل العادات الطيبة للحياة، ونقل حكمة الكبار التي وصلوا إليها بتجاربهم إلى الجيل الجديد»[4]، أما أرسطو فيركز على تربية أكثر واقعية، فهو يعتقد أن التربية الصالحة:«يجب أن تشمل تربية القوى الثلاث، فيجب أن تشمل أولا تربية الجسم، عن طريق الألعاب الرياضية، وثانيا تربية النفس غير العاقلة، أي تهذيب الرغبات والدوافع والشهوات، وهذه تكون عن طريق الموسيقى والأدب، أو التربية الخلقية، وثالثا تربية النفس الناطقة، وهذه تكون بدراسة الفلسفة والرياضة والهندسة»[5]، وفي الحضارة الرومانية كانت التربية تعني إعداد الناشئ للحياة العملية النفعية، وقد عبر"وهيب إبراهيم سمعان"عن ذلك قائلا:«أما المقياس الروماني فكان

---

[1] لالاند أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية معجم مصطلحات الفلسفة النقدية والتقنية، ترجمة أحمد خليل، دار عويدات للنشر والطباعة بيروت(لبنان)، المجلد1، ط1، 2008، ص322.

[2] سميح دغيم، موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية للفكر العربي، مكتبة لبنان ناشرون(لبنان)، ط1، 2000، ص263.

[3] الأهواني أحمد فؤاد، جون ديوي، نقلا عن عمر محمد التومي الشيباني، تطور النظريات والأفكار التربوية، دار الثقافة بيروت، ط2، 1975، ص31.

[4] المرجع نفسه، ص33.

[5] بول مونرو، المرجع في تاريخ التربية، نقلا عن المرجع السابق، ص35.

مقياسا نفعيا مستمدا من تقدير منفعة الشيء بالنظر إلى علاقته بنظام الحياة القائم»[1].

ثانيا: موقف برتراند رسل من النظريات التربوية

1- موقفه من النظريات التربوية التقليدية:

يبيّن رسل أن هناك ثلاث نظريات تربوية عبر تاريخ البشرية، فهناك أولا التربية السلبية، التي تعمل على تهيئة الفرص، والنمو لدى الطفل والقضاء على التخلف، أما الثانية فتركز على الجانب المعرفي للطفل، من خلال إمكانياته لأقصى حد ممكن، وتذهب الثالثة إلى تكوين المواطن الصالح. فعندما ينظر رسل إليها نظرة شاملة، يذهب إلى أن هذه النظريات لم تقدم تربية حقيقية لأنها تفتقد إلى الوضوح، وعندما يمارس منهجه التحليلي عليها، وينظر إليها نظرة جزئية كل واحدة على حدا، يستنتج أن الثانية والثالثة تدّعيان أنهما تقدمان للتربية شيئا واقعيا، فهما تعتمدان على مخطط تربوي لتدريب المواطن الصالح، «كأن يتعلم قواعد السلوك، وتقاليد الصناعة، ومعدل علم مناسب لمركزه الاجتماعي»[2]، إلا أن السلوك الحسن يختلف من مجتمع إلى أخر، ومن تقاليد إلى أخرى، ويبين أن هذا المفهوم في القرون الوسطى كان يعني الطاعة للآباء والكهنة والسيد فيقول:« كان الأطفال يتعلمون ليطيعوا آباءهم وليحترموا من هم أعلى منهم اجتماعيا، وليشعروا بالرهبة في حضور الكاهن، والخضوع في حضور سيد الولاية. ولم يكن حرا غير الإمبراطور والبابا»[3]. ويذهب إلى أن هذا النوع من التربية كثيرا ما يقع في التناقض، فمن جهة تهدف السلطة القائمة على ذلك فيه إلى إعداد مواطنين صالحين، لهم إعجاب فائق بالنظام وهم على استعداد للتضحية بأنفسهم من أجله، ومن جهة ثانية فهي تفتخر بالبطولات عبر التاريخ، إنها تمدح البطولات ولا ترغب في ظهورها، ولو حدث وإن ظهر بطل في ظل هذا النظام لكانت نهايته السجن والاعتقال، مبينا ذلك:« أنه بينما تستهدف الحكومات جميعا إخراج رجال من هذا الطراز دون أي طراز أخر، ترى أبطالها من رجال الماضي هم على وجه الدقة رجال من ذات الطراز الذي تحاول الحكومات أن تمنع ظهوره في الحاضر... والأمم الغربية جميعا تمجد المسيح مع

---

[1] وهيب إبراهيم سمعان، الثقافة والتربية في العصور القديمة، نقلا عن المرجع نفسه، ص37.

[2] رسل برتراند، التربية والنظام الاجتماعي، تر، سمير عبده، دار مكتبة الحياة بيروت(لبنان)، ط2، دس، ص30.

[3] المصدر نفسه، ص53.

أنه لو عاش اليوم لكان يقينا موضع ريبة من رجال "سكوتلنديار"Scotland yard"[*] في انجلترا، ولامتنعت عليه الجنسية الأمريكية على أساس نفوره من حمل السلاح»[1]، إن هذا الرأي يشمل كل الأنظمة سواء الديكتاتورية منها أو الديمقراطية، وما تعرض له رسل كرجل مفكر حر في بريطانيا وأمريكا، من خلال أفكاره التحررية والداعمة للسلام، واعتقاله وسجنه كذا مرة إلا دليلا على أن الحرية التي تدعيها بعض النظم ما هي إلا أكذوبة، تخدع بها السلطة شعوبها، وما الأزمات وتقييد حرية التعبير في العالم العربي إلا دليلا أخر على ذلك. ويشبه رسل وسائل التربية التقليدية المتمثلة في الصرامة والقسوة، والعقاب بتلك التي تستخدم لترويض الحيوانات، فيقول:«أما الأساليب التي كان يتوصل بها إلى هذه فقد كانت صارمة وجاهزة. وفي الواقع ليست غير شبيهة لتلك الأساليب المستعملة لتدريب الخيول. ما كان يفعله الكرباج للحصان كانت تفعله العصا للطفل»[2].

ونظرا لما تتميز به فلسفة رسل التحليلية من موضوعية، والالتزام بالمنهج العلمي فإنه أنصف هذه التربية، ولم يتجاهل دورها في بناء الحضارة، وأن لها الفضل في إخراج رجال عظماء قادوا البشرية إلى التحرر من الاستبداد والعبودية، فيقول: « لا يمكن الإنكار أن هذا النظام من أجل كافة قسوته أعطى على وجه العموم النتائج التي كان يهدف إليها. لقد كانت قلة فقط تلك التي عانت التربية، ولكن في تلك الأقلية تقاليد معينة شكلت تقاليد النظام الذاتي والتآلف الاجتماعي، والقدرة على القيادة، ومن القسوة التي لم تأخذ أي اعتبار لحاجات البشر»[3]، ويتعجب رسل من نتيجة هذه التربية المتزمتة التي كانت من المفترض أن تنتج لنا عقولا جامدة، وقادة مستبدين، ومواطنين خانعين، في حين أنه كان العكس هو الذي حصل، فغالبا ما تنتج هذه التربية رجالا متحررين، ومفكرين مبدعين، معبرا عن ذلك:« لا أود التقليل من هذا الانجاز، وأنا لست متأكدا أنه كان من الممكن بأي طريق أخرى، وبنفس الاقتصاد في الجهد، أن تنتج بالنظر إلى بعض الصرامة الإسبرطية، وإلى عجز كامل عن الشك الفكري، أن تكتسب الصفات التربوية والنظام الاجتماعي من عنصر استبدادي فيما بين الشعوب

[*] سكوتلانديار(Scotland yard) جهاز الشرطة البريطانية، وهو من أقوى أجهزة الشرطة في العالم.

[1] رسل برتراند، التربية والنظام الاجتماعي، (م س)، ص15.

[2] رسل برتراند، التربية والنظام الاجتماعي، (م س)، ص30.

[3] المصدر نفسه، ص30.

المتخلفة»[1]، مبينا أنه كان بإمكان هؤلاء الذين تربوا على القسوة والصرامة، وجفاف العواطف وحرمان الذكاء في طفولتهم، أن يمارسوه بدورهم على غيرهم، لكنه في ظل الأنظمة المتزمتة، يشهد الإنسان نوعا من الحرية ويمكن أن نلاحظ ذلك في قوة أمريكا بالرغم من تزمتها. ويظهر ذلك جليا في قوله:«لقد كان بإمكانهم التحول إلى حكم قاس مثلما تعرضوا له في الشباب، ويتفادوا الأعمال التي من المفترض أن تكون تربيتهم قد جوعت الذكاء والعواطف من أجل تعزيز الإرادة، ففي أمريكا تم التوصل إلى نتيجة مماثلة بواسطة حكم البيوريتانية (المتزمتة) في حين أنها ما زالت قوية»[2]. ومن أهم نماذج التربية التقليدية:

أ- موقفه من التربية الشيوعية:

إن النظام الشيوعي، ومنذ قيام الثورة البلشفية في 1917، ركز جل اهتماماته على التربية، باعتبارها الوسيلة الناجحة لتكوين الجيل القادم، الذي سيكون الدرع الحامي للشيوعية، وهذه التربية لم تقتصر مهمتها على المدارس، وإنما تجلت في كامل الحياة العامة، وذلك من خلال إيجاد منظمات طلابية وأخرى كشفية، وعمالية ونسائية وفلاحين... الخ، تدين كلها للشيوعية وعندهم تقريبا نفس القوانين والتي يجملها رسل فيما يلي:« العامل هو الحقيقة لمبرر الطبقة العاملة ووفقا لآراء لينين، هو الأخ الأصغر والمساعد إلى الكومسمول* الشيوعي، رفيق للرواد وأولاد المزارعين في العالم، ينظم الأطفال المحيطين ويساهم معهم في الحياة المحيطية، مثال لجميع الأطفال، يكافح من أجل المعرفة والمهارة»[3]. ومنه فالتربية، وخاصة التربية المدرسية، لم تبق بعيدة عن معترك الحياة السياسية، وإنما قد لعبت دورا أساسيا في إيجاد أي نظام، ويعبر لينين عن ذلك: «إن الدولة البرجوازية التي كانت أكثر ثقافة، هي الأكثر دهاء في الخداع مؤكدا أن المدارس بإمكانها أن تبقى خارج السياسة، وهكذا تخدم المجتمع. ففي الحقيقة كانت المدرسة أداة كلية لسيطرة الطبقية في أيدي البرجوازيين، وكانت طيلة الوقت مشحونة بروح الطائفية، وهدفها كان لإعطاء الرأسماليين عبيدا وعمالا أكفاء»[4]. والتربية

[1]-Russell Bertrand,Education and the Sosial order,Routlege classic,London and new York,1st p,2010,pp16-17.

[2] -op. cit,p17.

* الكومسمول: منظمة الشبيبة الشيوعية.

[3] رسل برتراند، التربية والنظام الاجتماعي، (م س)، ص ص180، 181.

[4] المصدر نفسه، ص175.

الشيوعية هي الأخرى لا يمكنها أن تتخلى عن وظيفتها في خدمة الطبقة البروليتارية، ولذلك نقل عن لينين(V. I. Lénine) أنه قال: «إننا ننكر أي نوع من الأخلاق يكون مأخوذا من الفكرة اللاإنسانية وغير الطبقية، ونعتبر مثل هذه الأخلاق كخيانة وخداع تقفل أدمغة العمال والمزارعين لصالح إقطاعي الأرض والرأسماليين، وإننا نقول أن أخلاقنا تكون خاضعة كليا لصالح الطبقة الكادحة من البروليتارية»[1].

فغاية التربية الروسية هي الاهتمام بالناشئ صحيا وعقليا وجسديا، وحتى عقائديا، وهذا ما عبر عنه بينكيفيتش"Albert Pinkevitch"[*] قائلا: «إن هدف الطبيعة والإرشادات العامة في روسيا السوفياتية، هو المساعدة في جميع التطورات الصحية، القوة، الشجاعة الواقعية للإنسان المستقل فكريا وعمليا، متعرفا بالجوانب العديدة للثقافة المقترنة، والمبدع والمحارب في صالح البروليتارية، وتباعا في التحليل النهائي لصالح جميع البشرية»[2].و يؤكد على أن الدعاية تلعب الدور الأساسي في تربية النشء، خاصة في تشكيل الأحداث ليس من أجلهم فقط، ولكن من أجل خدمة الدولة. فحياة الناس هي أشد ارتباطا بالدعاية بداية من الأسرة إلى المدرسة إلى جميع المؤسسات الاجتماعية، ويبين رسل أن هناك ثلاثة أشكال للدعاية:الدعاية من أجل الأحزاب السياسية وهذا النوع ليس بالضرورة أن تتعهد به الدولة، ولا يدخل في اعتبارات التربية، أما الثاني والثالث فهما الدعاية من أجل الطوائف ومن أجل الأمم، وهما مجال الدعاية التربوية، وذلك من خلال غرس بعض المبادئ والأفكار في أذهان الناشئين، بأن أمتهم هي أفضل الأمم، وأن دينهم هو أفضل الأديان، وأن نظامهم السياسي هو أفضل من أي نظام أخر، وذلك باستخدام وسائل أهمها التربية الوطنية، الأغاني والأناشيد الحماسية، التي ترفع من شأن الأمة ويبين ذلك بقوله:«الطوائف والأمم تعتبر أمورا مناسبة للدعاية في المدارس... فكل أمة عظيمة تتذرع بالروح القومية لتتغلغل إلى مدارس الدولة، وتعتبر هذا الشيء أهم الأجزاء القيمة لتربية المواطنين العاديين»[3]. وليس أدل على ذلك الصراع بين الشعوب والأمم، بل حتى ذلك الذي بين أبناء الوطن الواحد، من خلال تصارع الطوائف، التي تربي أبناءها على أن طائفتهم هي الأفضل، وهي صاحبة الحق الشرعي،

---

[1] المصدر نفسه، ص175.

[*] رئيس جامعة الولاية الثانية لموسكو في كتابه "عن التربية الجديدة في الجمهورية السوفياتية" 1928.

[2] رسل برتراند، التربية والنظام الاجتماعي، (م س)، ص176.

[3] المصدر نفسه، ص210.

وأن الطوائف الأخرى ضالة مضلة، يجب محاربتها وكراهيتها، فما يكون منها إلا تهييج هؤلاء لإشعال نار الحرب، وهذا ما تجنيه بعض الأمم التي تشهد حروب أهلية، تغذيها الدعاية والمصالح السياسية التوسعية، ويمكن تلمس ذلك في واقعنا المعاصر في معظم الدول العربية، كالعراق، سوريا، واليمن، في حين أن تلك الأمم التي تربي من أجل الوحدة والتماسك الاجتماعي تبني حضارة مؤسسة على الوحدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، مثل وحدة شعوب أوربا الغربية اقتصاديا وعسكريا وسياسيا. ويتفق رسل مع "بينكيفيتش" على أن المدرسة أفضل تأثيرا في تربية النشء من العائلة.

ويتوجه رسل في ملاحظاته إلى خصائص التربية الشيوعية ليبين ما تتميز به من ايجابيات وسلبيات، يدافع عنها تارة ويفندها تارة أخرى، وقد يمدح فكرة من جهة ويهجوها من جهة ثانية، مبينا الأدلة لقبول هذه ولرفض تلك، أما عن الأسباب التي جعلته يمدح التربية الشيوعية فتتمثل في:

- القضاء على التنافس: لأن التنافس قد يؤدي إلى الكراهية والتعصب ويسبب الحروب، وقد بين رسل أن التنافس شبيه بذلك التمييز بين القوي والضعيف والذي يعطى فيه الحق للقوي، متمثلا في قوله:«وقد استعمل الناس القوة طوال التاريخ القديم، لمنح القوي نصيبا أكبر مما يستحق، من الأشياء الحسنة وترك الضعيف يحيا حياة التعب والبؤس. وكان أثر التنافس كارثة مساوية لهذا»[1]، فالتنافس مصدر الحروب بين المجتمعات، ويؤكد أنه في روسيا تم القضاء نهائيا على فكرة التنافس:«ففي روسيا أزيل التنافس ليس فقط في المدارس، ولكن حتى من الحياة اليومية، التي تجعل روح تعاونية ممكنة وغير معروفة في الغرب، إن مساهمة المدرسة في العمل العادي للعالم... هي بنظري تتفوق على جميع العيوب الممكنة»[2].

- تقبل الشباب للعقيدة الروسية:بالرغم من أن رسل يرفض العقيدة، وخاصة العقيدة الشيوعية نظرا لأنها عائق أمام التقدم العلمي إلا أنه يرى فيها أنها تسير نحو عالم أفضل، نظرا لتقبل الشباب لها، فهي تختلف عن الديانة المسيحية، التي تتميز بالإلزام والإكراه والتعدد، حيث يذهب إلى:«إن الدين الروسي غير مشابه لدين البلاد المسيحية، وأنه واحد، وأغلب الناس، الشباب الذين يكونون عرضة له يتقبلونه بحماس، ويعملون

[1] رسل برتراند، المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، ترجمة عبد الكريم أحمد، مراجعة حسن محمود، المكتبة الأنجلومصرية القاهرة، د(ط س)، ص138.

[2] رسل برتراند، التربية والنظام الاجتماعي، (م س)، ص186.

قواعد حياتهم طبقا له... فإن الماركسية عندها الآن الفوائد التي كانت عند المسيحية عندما كانت حديثة العهد، ولكن هل بإمكانها الاحتفاظ بهذه الفوائد إذا كانت قائمة ومنتصرة؟»[1]، فالعقيدة الشيوعية وسيلة للتماسك وتوحيد الهدف، ودافع لبناء مجتمع متقدم ومتحضر. وفي موضع أخر ينبذ رسل الماركسية ويدينها ويفضل عليها المسيحية حيث يقول:«وسأعترف بأني أفضل أن أرى العالم كله مسيحيا، على أن أراه ماركسيا، فأنا أجد الإيمان الماركسي مما تعافه نفسي، أكثر من أي إيمان أخر اعتنقته الأمم المُتَمَدْيِنَةُ»[2]والمتأمل في هذا ينظر إلى أن رسل يقع في التناقض، وبما أنه صاحب مذهب الشك الفلسفي، فإنه لا يعترف بالعقيدة، ولا يؤمن بالأفكار الثابتة، وإنما قد يغير فكره بين لحظة وأخرى بناء على الأدلة والبراهين.

- القضاء على نظام الأسياد والعبيد والشرور:فهي تدمر فكرة فصل المدرسة عن الحياة، ويمكن أن نجمل أسباب مساندة رسل للتربية الشيوعية في قوله: «إنها تمنح الأطفال التربية، التي منها فكرة التنافس المعادية للمجتمع تكون قد استبعدت كليا. وتخلق نظاما اقتصاديا يظهر ليكون النقيض العملي الوحيد لنظام الأسياد والعبيد. إنها تدمر فصل المدرسة عن الحياة، لكون المدرسة مدانة لأصلها الرهباني، نظرا لأن العقلاني في الغرب يصبح بصورة متزايدة عضوا ضارا في المجتمع... إنها سوف تحل أغلب الشرور الرئيسية لوقتنا الحاضر»[3]، ولعل هذا الرأي له خلفية بيئية، المتمثلة في الواقع المحافظ الذي تربى فيه رسل، بالإضافة إلى أن جل النقاد يصفونه بأنه عقلاني وكأنها جريمة يجب أن يعاقب عليها أصحاب العقول. ولذا فهي تعبر عن همومه اتجاه العالم الذي يعيش فيه.

وبالرغم من هذه الصفات التي يصف بها رسل التربية الشيوعية فلا يمنع أن لها سلبيات أهمها:

- التخطيط: تعتمد التربية الشيوعية على فكرة التخطيط، التي يحدد فيها الهدف مسبقا بحيث لا يسمح فيها للمبادرة الفردية، ولا لحرية الفكر وهذا ما يقود الشخص إلى الملل والكسل:«إن كل شيء مخطط عن قصد من المحتمل أن يعاني من البساطة غير

[1] المصدر نفسه، ص183.

[2] رسل برتراند، المجتمع البشري في الأخلاقو السياسة، (م س)، ص192.

[3] رسل برتراند، التربية والنظام الاجتماعي، (م س)، ص189.

المتوجبة التي تقود إلى الملل، وحتى إلى نوع من الجنون من سماع نفس النغم يعزف باستمرار»[1].

- تقييد الحرية الفكرية:إن العقيدة الشيوعية من خلال ما تبثه في الأطفال من تربية وطنية تعتمد على وسائل الدعاية المختلفة، فإنها تعادي كل فكر تحرري، وكل علم لا يتفق والطبيعة الشيوعية، كمخالفتها لبعض المكتشفات العلمية الحديثة، أو لقوانين الوراثة عند مندل، لأنها تختلف والنظرة المادية.

ب- موقفه من التربية الأرستقراطية:

إن التربية الأرستقراطية بالرغم من أنها تربية طبقية، إلا أنها كانت تعطي أهمية كبرى لأبناء الطبقة وتعدهم الإعداد اللازم لتحمل المسؤولية، وتهتم بتكوين السيدة أو السيد المحترم:«فسيد القرن الثامن عشر كان يتكلم بنبرات منتقاة ويتمثل بالأدب القديم في المناسبات، ويلبس على الطراز، ويفهم قواعد السلوك»[2]، وهذا ما وصفت"بياتريس ويب"(Beatrice webb)" [*] به رسل في قولها:«كان مسلكه ومظهره الخارجي أشد ما يكون حرصا على التأنق شديد المراعاة لقواعد الذوق واللباقة التقليدية، جم الأدب يدقق في إتباع الرسميات التي يقتضيها هذا الأدب. وكان أثناء الكلام يخرج الألفاظ بوضوح يكاد أن يكون مفتعلا، ويعبر عن نفسه بطريقة محددة، وهو"بيوريتاني"[*]"purita " متشدد من الناحية الأخلاقية، ويكاد أن يصل إلى حد التقشف في عاداته الشخصية، اللهم إلا إيمانه بأنه يعيش من أجل الكفاءة جعله يتطلع إلى الاحتفاظ بنفسه في أفضل حالة جسمية»[3].، ثم إن هذه التربية تعتمد على ما يرثه الشخص من سلوك وسلطة ومال، ولذلك فهي لا تهتم بالتربية النفعية من أجل العمل والعيش بل بالتربية الزخرفية التي تتمثل في الأناقة والتأمل وتجعل صاحبها في غنى عن العمل، ثم هي تعتمد في تنشئة أبنائها على تقاليد العائلة العريقة، وعادة ما

---

[1] رسل برتراند، التربية والنظام الاجتماعي، (م س)، ص188.

[2] رسل برتراند، في التربية، ترجمة سمير عبده، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، د(ط، س)، ص24.

[*] ويب بياتريس:"Beatrice webb" (1858-1943)م، عالمة اجتماع واقتصادية انجليزية، وهي زوجة سيدني ويب، أسسا معا مدرسة لندن للعلوم الاقتصادية والسياسية، ذات اتجاه فابياني(المنظمة الاشتراكية الانجليزية).

[*] البيوريتانية أو التطهيرية (puritan-puratanism) مذهب مسيحي بروتستانتي، يجمع خليطا من الأفكار الاجتماعية والسياسية واللاهوتية والأخلاقية.

[3] وود آلان، برتراند رسل سيرة حياته، ترجمة رمسيس عوض، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة(مصر)، دط، 1998، ص50.

يقوم الخدم بهذه المهمة:« فأطفال الأغنياء لهم غالبا بجانب أمهم مربية وخادمة، ولهم بعد ذلك نصيب من بقية خدم المنزل، وهذا يضمن مقدارا من العناية لا يمكن قط أن يؤتاه جميع الأطفال في أي نظام اجتماعي»[1]، ومن جهة ثانية تهتم بتكوين الطفل معرفيا من خلال التركيز على تقديم المعلومات الغزيرة، وتحصيل لجانب عظيم من الفنون والآداب والثقافات المختلفة، دون أن تهتم بميوله أو رغباته، وقد كانت توكل هذه المهمة لمعلم خاص، فهي شبيهة بتربية أبناء الملوك، فلقد كانت التربية الأرستقراطية تركز على حشو الطفل بالمعلومات والمعارف تكاد ترهق عقله أكثر مما تفيده في حياته اليومية، ويعتبر رسل خير مثال لطفل نشأ في أحضان تربية أرستقراطية ولذلك فهو يعبر عن نفسه قائلا:«أما عن نفسي فقد قضيت في درس اللاتينية واليونانية في شبابي جزءا كبيرا من وقتي أعتبره الآن وقتا ضاع كله تقريبا سدى، فمعرفة الآداب القديمة لم تساعدني أقل مساعدة في حل مشكلة من المشاكل التي جابهتني فيما استقبلت في حياتي، ولم أستطع أن أحذق الآداب القديمة»[2]. وتركز التربية الأرستقراطية على العقاب والتأديب لتقويم سلوك الطفل، وهذا ما كان قد تعرض له في صباه، لأن هذه التربية تعتبر الطفل مفطورا على الشر ويجب تحويله إلى الخير عن طريق الضرب المتكرر، ويذهب إلى أن هذه التربية لا يمكن أن تصلح كمنهج تربوي للأجيال المعاصرة، بل إن الشر الذي يوجد في المدارس الإنجليزية كلها يعود إلى هذه التربية، معبرا عن ذلك:«إن الشرور القائمة في المدارس العامة الانجليزية، ربما تكون جميعا ليس بمستطاع فصلها عن التربية الأرستقراطية... إن الأرستقراطية حاليا تعتبر قديمة بالية»[3]، فالأرستقراطية، حتى وإن كانت ترتبط بالديمقراطية، فإنها تحتوي على بعض الأخطاء، أهمها العنصرية الفكرية، والعرقية، والنظرة الدونية إلى غيرهم، وهذا ما سبب كراهية الديمقراطية من طرف الجمهور لارتباطهما ببعضهما البعض:«إن خطأ الأرستقراطية ينحصر ليس بالتفكير في أن بعض الناس هم أرفع من الآخرين، ولكن في افتراض السمو ليكون وراثيا. وخطأ الديمقراطية ينحصر في اعتبار جميع المطالب للسمو كمبررات لكراهية الجمهور»[4]. وعليه فإن كره رسل للأرستقراطية نابع من تلك التربية المتزمتة التي تلقاها

[1] رسل برتراند، في التربية، (م س)، ص21.
[2] المصدر نفسه، ص27.
[3] رسل برتراند، التربية والنظام الاجتماعي، (م س)، ص76.
[4] المصدر نفسه، ص78.

في صباه من جهة، ونظرة الاستعلاء التي تنظر فيها الشعوب الغربية إلى غيرها من شعوب المعمورة من جهة اخرى، وما نتج عن ذلك من صراع وحروب وكراهية بين بني البشر، وما نشوء الإمبراطوريات العظمى، إلا خير دليل على ذلك. كما أنها لا تتلاءم والعصر«لكن الأرستقراطية صارت لا تتفق مع العصر، ولن تطيع الشعوب المغلوبة الحكام بعد الآن مهما أوتوا من الحكمة والفضيلة»[1].

ثالثا: تصور رسل للتربية

يعود اهتمام رسل بالتربية إلى تلك الفترة التي رجع فيها من الصين، ويظهر ذلك في قوله: «وخلال السنوات التي أعقبت عودتي من الصين ولد لي الولدان الأولان، فكان سببا في اهتمامي بالتربية في المراحل الأولى، ولبثت فترة أختص التربية بمعظم جهدي»[2]، وليس اهتمامه بها اهتمام المنظر التربوي فقط إنما هو اهتمام الوالد الفيلسوف المفكر الذي يحمل هموم الإنسانية ككل، فما بالك بهموم الوالد على أولاده، في ظل هذه المؤسسات التي تتقاذفه يمينا وشمالا، وقد عبر عن ذلك:«تسيطر المؤسسات المهددة بالانهيار، عندما تكون في أوج سطوتها، على آلة التعليم وتغرس في عقول النشء القابلة للانطباع بسهولة احتراما لامتيازاتهم»[3]. فهموم رسل ليست هموم فيلسوف فقط حائر على مستقبل الناشئة إنما هي كذلك هموم الأب الذي تجاوز عطفه على أبنائه إلى عطفه على الإنسانية جمعاء «هناك الكثير من الآباء في الدنيا أمثالي، لهم أولاد صغار يجاهدون لتربيتهم التربية الحسنة، لكنهم ينفرون من تعريضهم إلى سيئات معظم المعاهد التربوية القائمة، والصعوبات التي يتلقاها هؤلاء الآباء لا يحلها أي مجهود فردي»[4]. وبعد أن يطرح رسل المشاكل التي تعترض تربية الأبناء من خلال تهافت الإيديولوجيات إلى ضم أنصار جدد من خلال التربية، يحاول أن يحدد الأهداف والغايات التي تهدف إليها التربية فيقول:«فالتربية التي ننشدها لأطفالنا لابد أن تتوقف على مثلنا العليا للخلق الإنساني، وعلى الدور الذي نرجو أن يكون لأطفالنا في المجتمع إذا كبروا. فالمؤمن بالسلم لن يبتغي لأولاده نفس التربية التي يستجديها المؤمن بالحرب،

---

[1] رسل برتراند، في التربية، (م س)، ص43.

[2] رسل برتراند، نقلا عن زكي نجيب محمود، نوابغ الفكر الغربي"برتراند رسل"، دار المعارف القاهرة (مصر)، ط2، دس، ص30.

[3] رسل برتراند، أسس لإعادة البناء الاجتماعي، تر، إبراهيم يوسف النجار، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت(لبنان)، ط 1، 1987، ص117.

[4] رسل برتراند، في التربية، (م س)، ص13.

والأفكار التربوية للشيوعي لن تكون نفس نظرة القائل بحقوق الفرد»[1]، ويفرق رسل بين المربي الذي له هموم أبوية، وبين ذلك الذي ليس له أبناء، حيث تقتضي عند الصنف الأول المحافظة على الطفل ولو استدعى الأمر مخالفة العاطفة واستخدام الذكاء في حين أن الذين ليس لهم أطفال يكونون أكثر عاطفية من غيرهم، ولذلك يدعو أفلاطون إلى القضاء على الأطفال المشوهين رحمة بهم وبالمجتمع، أو مثل ما ذهب إليه روسو في ترك الطفل بحرية ليتعلم من الطبيعة، وقد عبر رسل عن ذلك:« فالوالد أو الوالدة التي تحب طفلها ترغب أن يعيش ولو استدعى الأمر استخدام الذكاء ومخالفة العاطفة، لذلك نجد غلبة العاطفة أقوى ما يكون بين الناس الذين لا أطفال لهم، وبين الذين يميلون مثل روسو إلى إيداع أطفالهم ملاجئ اللقطاء»[2]، ويؤكد على أن السنوات الخمس الأولى لها أهمية في حياة الطفل، هذا ما يؤدي إلى زيادة اهتمام الوالدين بأطفالهم، لأن آراء الوالدين على جانب عظيم من الأهمية، وينصح الآباء في تربيتهم لأبنائهم من تجنب المسائل الجدلية ما أمكن إلى ذلك سبيلا، ثم يبين المنهجية التي يتبعها في عمله:«والخطة التي أنوي السير عليها هي أن أنظر أولا في أغراض التربية من حيث نوع الفرد، ونوع المجتمع اللذين يصح أن نتطلع بحق إلى أن تصوغهما لنا التربية من المادة الخام الموجودة في الوقت الحاضر»[3]، ويميز رسل بين نوعين من التربية: تربية الخلق، والتربية لتحصيل المعرفة.

أولا: تربية الخلق هي تهذيب الخلق الذي له الأهمية العظمى خاصة في السنوات الأولى من العمر، وهنا يتحول رسل إلى محلل نفساني واجتماعي، ليس بالمعنى الفرويدي ولكن بمعنى التحليل الواقعي، فيبين بأن هذه التربية تتميز بتعويد الطفل عادات وتجنيبه عادات أخرى، فمن الواجب تجنيبه الخوف، والخجل، وتدريبه على الشجاعة، ويعتبر اللعب والتوهم حاجة حيوية للطفل وجب أن تهيأ الفرصة لها إذا أريد للطفل أن يصبح سعيدا، كما يجب تدريبه على الاحترام والعدل، ومنعه من أن يطغى على أقرانه، حتى يكتسبها كعادة في ممارسة سلطته كراشد، ووجب تعليمه الصدق في الكلام وفي الفكر حتى يحترم ويحترم، مع تدريبه على المحبة وتجنب العقاب ما أمكن ذلك سبيلا، ولا يمكن إبعاده عن محيط أقرانه حتى يندمج ويطلع ويكتسب مناعة.

---

[1] المصدر نفسه، ص14.

[2] المصدر السابق، ص65.

[3] المصدر نفسه، ص15.

ثانيا:التربية الفكرية يجب تدريب الطفل على الفضائل الفكرية أهمها:حب الاطلاع، وانفتاح العقل والصبر والجد، والدقة والرغبة في القيام بالعمل الصعب.

وعليه فالتربية مؤسسة سياسية تهدف إلى تكوين عادات تساهم في بناء الفرد وتخدمه في حياته، إن«التربية هي في جوهرها بنائية وتتطلب فكرة ايجابية لما يكون حياة جيدة»[1].

رابعاً: التربية والسلام العالمي

ويمكننا أن نتساءل مع رسل ما هي التربية التي يمكن أن تحقق السلام بين أبناء المعمورة؟ فيذهب رسل إلى أن ذلك لا يكون في ظل هذه النظم القائمة، التربوية منها والسياسية، التي تنظر إلى الفرد كوسيلة لتحقيق غاية، فنظرتها إلى المواطن الصالح تجعل أجهزة الدولة كلها مسخرة من أجل الفرد ليكون ترسا في آلة، في حين أن النظرة التحررية إلى الفرد تجعل منه غير قادر على مواجهة المشاكل الحياتية، ويدعو "رسل" إلى تجاوز النظرتين معا فهو يدعو إلى إعداد المواطن الحر، إلا أن هذا لا يمكن أن يتم في ظل الصراعات الإنسانية وفي ظل الشرور المنتشرة هنا وهناك، وفي ظل الدعوة إلى القومية، والنظرة الدينية الضيقة، والدعاية المغرضة، وما على الإنسانية إذا أرادت أن تعيش في سلام إلا أن توحد جهودها وتقضي على هذه الشرور، وتحاول أن توجد الإنسان الحر العادل المحب للسلام، وهذا لا يكون إلا إذا وحدت الجهود.

ونتيجة للصراع والتناحر بين الشعوب، يرى رسل أنه لامناص من إنشاء حكومة عالمية، ينطوي تحتها العالم كله، وهذه الحكومة تتمتع بصلاحيات أكبر من تلك الصلاحيات التي تتمتع بها الأمم المتحدة، وفي ظل غياب هذه الحكومة فلن يعرف العالم السلام.

فالتربية إذا أريد لها أن تقضي على الكراهية بين الشعوب والعقائد المختلفة، وأن توحد البشر على سياسة واحدة محددة،و أن تدرس تاريخا واحدا ليس فيه كراهية ولا كذب، فإنه لابد أن تكون تربية عالمية، ويتجلى ذلك في قوله:«بإمكان التربية بسهولة إذا اختار الناس، أن تنتج شعور وحدة للعنصر البشري وأهمية التعاون الدولي. فضمن جيل حيث تكون حواجز التعرفة التي نجعل بها أنفسنا فقراء، يمكن أن تخفض والقوة العسكرية التي بها نهدد أنفسنا بالموت يمكن أن تزول، والكراهية التي نقطع بها أنوفنا

[1] رسل برتراند، أسس لإعادة البناء الاجتماعي، (م س)، ص119.

يمكن استبدالها بالإرادة الحسنة. إن العنصرية التي هي سائدة حاليا في كل مكان هي بصورة رئيسية حصيلة المدارس، ويجب أن تأتي على نهايتها، وأن تسود التربية روح مختلفة»[1]. ويبين أن ذلك لا يتم إلا إذا كانت التربية ومؤسساتها خاضعة لهيئة عامة عالمية، تقوم بوضع برامج حيادية خالية من بث الكراهية والعنصرية بين الشعوب، تدعو إلى المحبة والسلام، أي أن البرامج لابد أن تتميز بالخاصة العلمية والمتمثلة في الموضوعية التي هي ميزة من ميزات الفلسفة التحليلية، وإذا كانت التربية موضوعية خالية من الاعتبارات الذاتية فإنها تكون أقرب إلى العالمية شبيهة بتلك المعادلات الرياضية، وقد بين ذلك:«إذا رغبنا في إنشاء علاقات حسنة بين الدول وجب أن تكون إحدى أولى خطواتنا إخضاع كل تعليم للتاريخ إلى هيئة عالمية منتدبة يفترض فيها أن تحضر كتابا مدرسيا حياديا وبعيدا عن التحيز الوطني يدرس في كل مكان»[2]. وكما أكد رسل على عالمية التربية فإنه كذلك يؤكد على عالمية الدين والعقيدة، فإذا كان الدين في يد سلطة ما، أو لها موقف مخالف منه، فإن التربية ستكون مؤيدة لعقيدتها تدافع عنها بكل ما أعطيت من وسائل القوة، وترفض وتتعصب ضد كل عقيدة مخالفة لها، فيقول:«عندما تكون الدولة متطرفة في علمانيتها كما هي الحال في فرنسا، تصبح مدارس الدولة متطرفة في تعصبها مثل المدارس التي تديرها الكنيسة. النتيجة في كلتا الحالتين واحدة:كبت البحث الحر، وفي مسألة من أهم المسائل في الدنيا يصدم الولد بعقيدة متصلبة أو بصمت متحجر»[3]. ولا يتم هذا كله إلا إذا كانت هناك تربية ومربين جادين لتحقيق ذلك، ويجب أن يتجنبوا تصنع الوسائل التي تحول الناشئين إلى أعداء لمواطنيهم أو لغيرهم، كما يجب أن يشجع الشباب على التفكير وقبول وجهات النظر المختلفة،و لا يجب إرغام الأطفال على مذهب معين، ولا سياسة ولا دين واحد، وإنما يجب أن تترك الحرية لهم ليختاروا بشرط أن تكون لهم القدرة على المعرفة، وبهذا الشكل نستطيع أن نبث روح التعاون والتعايش بين الشعوب، وأن نمرن الأطفال على الحكم الديمقراطي الذي يقبل الآخر ولا يرفضه تماما فيقول:«إن الشيوعية يجب أن تناقش في المذياع أيام الاثنين المتعاقبة من قبل السفير السوفياتي والسيد "ونستون تشرشل"، وأولاد المدارس يجب أن يرغموا على الإصغاء، وبعد أن يستمر النقاش ثلاثة

[1] المصدر السابق، ص136.

[2] رسل برتراند، أسس لإعادة البناء الاجتماعي، (م س)، ص123.

[3] المصدر السابق، ص124.

أشهر تجري كل مدرسة انتخابات حرة. وفي أيام الثلاثاء تناقش الهند بين "غاندي" والحاكم العام، وأيام الأربعاء المسيحية فيما بين "ستالين" ورئيس أساقفة كنتربري»[1]. إن هذه الدعاية من جانب واحد لا تهدف إلى التفرقة أو بث روح الخلاف وإنما تهدف إلى المساواة وتكافؤ الفرص فيما بين الأفكار المختلفة، حيث لا يمكن أن يقبل الناس إلا تلك الأفكار التي تثبت عقليا وواقعيا، وبهذا الشكل نعلم الناس التفكير الحر واستخدام العقل والبرهان في ظل سياسة قبول الأخر الذي هو ضروري لاستمرار الحياة.

تعقيب:

وعليه فإن الدارس لرسل يجده يمثل خليطا من الأفكار، فهو صاحب خلفية هيغلية من خلال ميله إلى الرأي والرأي المعارض، كما أن له خلفية أنجلوسكسونية فهو الفيلسوف التجريبي الذي يحلل الفكرة إلى عناصرها الجزئية ويستنتج منها أفكارا أخرى تتميز بالوضوح والبداهة طبقا لمنهجه التحليلي، وله خلفية اشتراكية تظهر كثيرا في كتاباته من خلال مدحه لبعض الأفكار الشيوعية والتي بيناها في البحث، كما أنه لم يستطع أن يتخلص من بقايا الارستقراطية والليبرالية، والتي دعا فيها إلى تبني الدولة العالمية بالأسلوب الليبرالي الأمريكي«يبدو أن أفضل أمل من المحتمل، أن يتحقق هو أن تقوم مجموعة واحدة-أحسب أنها أمريكا- بانتزاع النصر على غيرها، الأمر الذي يؤدي إلى قيام منظمة دولية تقف أمريكا على رأسها كدولة رأسمالية بينما تقوم الدول الأخرى بدور البروليتارية، وإذا أمكن خلق منظمة دولية، مهما بلغ اضطهادها وجورها، فإنه سيصبح من الممكن مرة أخرى العودة إلى تحقيق التقدم المنظم»[2]، ولعل ذلك يعد تكهنا لنظرة الفيلسوف الثاقبة في بروز العولمة المعاصرة بالأسلوب الأمريكي، إلا أنه يصعب في بعض الأحيان أن نفهمه فهو فيما ذكرنا يمدح أمريكا ويمدح دبلوماسيتها وأحقيتها في قيادة العالم، وهو في شطر أخر عند ما زار الصين ينتقدها ويصفها بصفات سيئة وقد بين "آلان وود" ذلك:«ومما زاد من إساءة فهمه أنه شخصيا لم يكن دائما يحرص على الاحتفاظ بالفرق بين هاتين الحالتين المتناقضتين واضحا، كما أنه لم يقتصر دائما في إبداء آرائه على تخصصه كفيلسوف»[3].

---

[1] رسل برتراند، التربية والنظام الاجتماعي، (م س)، ص219.

[2] آلان وود، برتراند رسل سيرة حياته، (م س)، ص187.

[3] المرجع نفسه، ص121.

كما أن رسل يواجه صراعا نفسيا بينه وبين ذاته، بين تلك التربية المتزمتة التي تشربها في صغره، وبين تلك الأفكار التحررية التي يؤمن بها، فهو يمجد الدين على أساس أن له قيمة في إصلاح الناس، وهذا نابع من تربيته البيوريتانية المتشددة، ومن نظرته البراغماتية، ومن جهة ثانية يرفضه لأنه يسبب الركود والجمود، وهذا يعود إلى تلك الأفكار التحررية التي أوحى بها إليه "جون استوارت مل". وكذا في كل موقف سواء أكان سياسيا أو تربويا أو أخلاقيا، إلا أن رفضه أو قبوله مؤسس دائما على البراهين، فهو ليس صاحب مذهب متعصب بل هو صاحب فكر منطقي لا يقبل من الأفكار إلا تلك التي يستطيع أن يثبتها بالعقل والبرهان، وعليه فعندما يدعو إلى تربية المواطن الصالحو الفرد الحر في آن واحد، فإنه يدعو إلى الاهتمام بالإنسان كإنسان صاحب عقل وفكر لا يجوز تحديد حريته من جهة، ومن جهة ثانية الاهتمام به كفرد في المجموعة له ما لها وعليه ما عليها، وهنا يجب أن يخضع لقوانينها.

إن هذا النموذج من الفلسفة الغربية الأنجلوسكسونية يعد بالفعل، بنية أساسية في تشييد الحضارة الإنسانية، بشرط أن يحترم ويقتدى به، وإن مجتمع يوجد فيه مثل هؤلاء الرجال الذين يحملون هم البشرية، ويناضلون من أجل السلام والحرية ويدافعون عن قيمة الإنسان العقلية، من خلال الأسس التربوية السليمة لمجتمع محكوم عليه بالتقدم والتطور. ولعل عالمنا العربي يعتبر من هذا النموذج، ويحاول النهوض من السبات الطويل، ويشق لنفسه الطريق اتجاه الحضارة، والتي لا تكون في ظل إهمال الأجيال الحاضرة.

قائمة المصادر والمراجع:

رسل برتراند:

1. أسس لإعادة البناء الاجتماعي، تر، إبراهيم يوسف النجار، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت(لبنان)، ط1، 1987.
2. حكمة الغرب، تر، فؤاد زكريا، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ج2، العدد72، 1983.
3. المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، ترجمة عبد الكريم أحمد، مراجعة حسن محمود، مكتبة الانجلومصرية القاهرة(مصر)، د(ط س).
4. في التربية، ترجمة سمير عبده، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت (لبنان)، د(ط س).
5. التربية والنظام الاجتماعي، ترجمة، سميرعبده، دار مكتبة الحياة بيروت(لبنان)، ط2، دس.

المصادر باللغة الأجنبية:

Russell Bertrand, Education and the Social Order Routlege classic, London and new York,1stp,2010

قائمة المراجع بالعربية:

1. ابن منظور ابن الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر بيروت، المجلد1، د(ط س).

2. ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، مراجعة عبد الباري محمد الطاهر، تحقيق أحمد جاد، مؤسسة قصر البخاري للنشر والتوزيع، الجزائر، د(ط س).
3. دينكن ميتشيل، معجم علم الاجتماع، دار الطليعة بيروت (لبنان)، ط1، 1981.
4. دغيم سميح، موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية للفكر العربي، مكتبة لبنان ثائرون، لبنان، ط1، 2000.
5. وود آلان، برتراند رسل سيرة حياته، ترجمة رمسيس عوض، المجلس الأعلى للثقافة، دط، 1998.
6. الحازمي خالد بن حامد، أصول التربية الإسلامية، عالم الكتب السعودية، ط1، 2000.
7. لالاند أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية معجم مصطلحات الفلسفة النقدية والتقنية، ترجمة أحمد خليل، دار عويدات للنشر والطباعة بيروت، المجلد1، ط1، 2008.
8. مدكور إبراهيم، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة (مصر)، دط، 1983.
9. نجيب محمود زكي، نوابغ الفكر الغربي"برتراند رسل"، دار المعارف القاهرة (مصر)، ط2، دس.
10. الشيباني عمر محمد التومي، تطور النظريات والأفكار التربوية، دار الثقافة بيروت، ط2، 1975.

المراجع بالأجنبية:

Lannone A. paplo,dictionary of world philosophy,routledge taylor and francis group,1stp,2001.

المواقع الالكترونية:

www. Tim Madigan ;Russell and Dewey on Education similarities and differences, docs. lib. purdue. edu